

المسرح التعليمي وفن بناء الطفل الواعي

د/ أماني السيد مصطفى إبراهيم
دكتوراه في صعوبات التعلم - مصر

مرحلة الطفولة المبكرة تمثل أساس البناء الإنساني، والاهتمام
بها هو اهتمام بصناعة البشر ومستقبل الأوطان

المسرح كأحد استراتيجيات التعلم المهمة في مرحلة الطفولة المبكرة:

يعد المسرح التعليمي أحد الاستراتيجيات التعليمية الحديثة، فهو نمط من التعليم يعتمد على النشاط الذاتي والمشاركة الإيجابية للطفل والتي يقوم الطفل من خلالها باستخدام مجموعة من الأنشطة والعمليات العملية تحت إشراف المعلمة، كما أنه يعد واحدًا من الوسائل التربوية والتعليمية والتقنية على نحو نابض بالحياة من خلال شخصيات متحركة. وهو ذلك المسرح الموجه للطفل سواء قام به الكبار أو الصغار، ما دام هو موجهاً للطفل، ويعد من أهم الوسائل في تربية الطفل لما يتضمن من معانٍ وقيم وأنماط جمالية تعمل على بلورة شخصيته في جميع الجوانب. كما أنه أحد الأنشطة التربوية التي يؤديها الأطفال تحت إشراف مدرسيهم ومعلميهم ويسعى إلى توصيل رسائل تربوية وتعليمية للطلاب تساعد على تشكيل وعيهم ثقافيًا ونفسيًا وعلميًا؛ لذلك فهو أداة تعليمية وتربوية في المقام الأول.

كان الأساس يمثل أهم جزء من البناء المادي كما في العمارات والبنيات، فإن مرحلة الطفولة المبكرة تمثل أساس البناء الإنساني، ولذا فإن صح سلامة الأساس المادي وكان متينًا كان هناك اطمئنان إلى سلامة البناء بأكمله، وبالتالي فإن أفضل الاستثمارات التي يمكننا القيام بها في حياة الطفل هو التعليم المبكر عالي الجودة، فالاهتمام بالطفولة المبكرة هو اهتمام بصناعة البشر، ومستقبل الأوطان.

وتعد مهمة تربية وإعداد طفل متوازن وناجح نافع لنفسه ومجتمعه وعلى قدر من الوعي الكافي تحديًا كبيرًا يواجهه كل أسرة وخاصة في ظل وجود عدة مؤثرات خارجية لا يمكن للأهل التحكم بها تؤثر بصورة أو بأخرى على شخصية الطفل، كما يحتاج التعليم في الطفولة المبكرة إلى العديد من المهارات والخبرات المختلفة التي تتوافق مع أعمار الأطفال في هذه المرحلة، ولتحقيق ذلك يجب اتباع استراتيجيات حديثة في التعليم واختيار ما يتناسب مع الطفل، ومن أهم هذه الاستراتيجيات هو المسرح التعليمي.

تعد مرحلة الطفولة المبكرة أحد أهم الاستثمارات التي يجب على كل دولة أن تقوم بها لتعزيز وتطوير وتقوية الموارد البشرية لديها، وكلما كانت هذه المرحلة أقرب إلى السواء كانت الشخصية في المستقبل أقرب إلى السواء والعكس صحيح، فهذه المرحلة تعد أهم مراحل تكوين الإنسان ففيها تتكون الدائرة المعرفية للطفل، ويكتسب أهم المهارات وتتكون لديه الشخصية فيحتاج الطفل تفهما واحتراما ورعاية، وغرس القيم والمبادئ ويحتاج إلى القدوة. وإذا



المسرح ودوره في تنمية الوعي التربوي للطفل:

ويعد المسرح أحد طرق التعلم النشط وأحد الاتجاهات التربوية الحديثة التي لها تأثير إيجابي في العملية التعليمية، فهو ينقل المعلم من دور ناقل للمعلومات إلى دور موجه ويحول الطفل إلى مبتكر ومتعاون، كما أنه يعمل على تنويع فرص التعلم للأطفال، وتحويل المقررات الدراسية إلى ألعاب معرفية يتداولها الأطفال فيما بينهم؛ حيث يُسهم المسرح في تخفيف وتقليل أساليب التعلم المباشر والتقريبي الذي يركز على مهارات الحفظ والتذكر مما يشعر الأطفال بسأم وملل من الدروس، كما أنه يعمل على مساعدة الأطفال على إثارة دافعيتهم وتشويقهم للتعلم وإحداث تغييرات سلوكية مرغوبة لديهم. ويكشف المسرح عن نواحي القوة والضعف عند الأطفال، ويوفر فرص النجاح ويشرك الطفل في تقييم ذاته؛ حيث أنه يجعل التعليم خلّاقاً ومفيداً، ويعمل على تنمية المهارات الأدائية والحياتية والإنسانية وتقوية الأدوات التعبيرية، ويساعد المسرح على إثراء قاموس الطفل اللغوي وتنمية القدرة على التعبير.

مسرح الطفل أكثر الوسائط الثقافية تأثيراً أو فاعلية وقدرة على توصيل الفكرة.

المسرح ودوره في الوعي النفسي للطفل:

يهدف المسرح إلى تربية طفل سوي فهو نافذة يوضح لنا كيف ينمو الطفل عقلياً ووجدانياً واجتماعياً ويعكس إدراك الطفل للعالم، ويمكن من خلال المسرح التعرف على الاستعدادات الإبداعية للطفل، كما أنه من أهم السبل للوصول إلى عقل ووجدان الطفل وتنشئته للتعامل مع هذه التقنية كفيل بتدريبيه على كيفية التعامل مع الآخر، ويعمل المسرح كداعم نفسي للطفل ويوعيه ويعالج بعض المشاكل النفسية والسلوكية مثل الانسحاب والخجل والخوف والانطواء، ويساعد الطفل على الاندماج مع المجتمع من جديد.

وبناءً على ما سبق لم يعد المسرح وسيلة للترفيه فقط، بل أصبح وسيلة فعالة للتعليم والتثقيف ونشر الأفكار وتكوين الوعي وصار يستخدم كأداة في مساعدة المعلمين وتدريب المواد ونقلها إلى الأطفال بأسلوب يعتمد على عنصر التثقيف والتشويق.

ويجب أن يتوافر في المواضيع المقدمة عن طريق المسرح مجموعة من الشروط والضوابط مثل سهولة الحبكة، ووضوح الشخصيات والبداية المشوقة، وأن يحمل منظومة من الأفكار الخلاقة والقيم الأخلاقية، والإيجابية بالنسبة للمجتمع وأن يرتبط بما تقدمه من قيم وأعراف للثقافة العامة، وأن تكون مناسبة للمرحلة التعليمية التي تقدم لها من حيث المستوى اللغوي المناسب ومستوى الخبرة الحياتية كما أنه لابد من وضوح الفكرة بالنسبة للطفل.

المسرح التعليمي أحد الاستراتيجيات التعليمية الحديثة الذي يعتمد على النشاط الذاتي والمشاركة الإيجابية للطفل

المسرح ودوره في مراعاة الفروق الفردية بين الأطفال:

تضم القاعة في مرحلة الطفولة المبكرة العديد من الأنماط المختلفة من الأطفال، منهم الموهوب والمبدع والانطوائي، أو العدواني أو الطفل ذو الاحتياجات الخاصة ومنهم ذوو صعوبات التعلم، وغيرها من الأنماط المختلفة للأطفال، ومن خلال الخبرة الطويلة في الواقع الميداني كمعلمة رياض أطفال لم أجد وسيلة أكثر من المسرح في توصيل المعلومات للأطفال بطريقة تبهج الأطفال وتسعدهم وتدخل السرور عليهم وتجعله تجربة يتحاكى بها طول وقته لأبويه وإخوته وربما جيرانه، وبالتالي فمسرح الطفل يعد من أكثر الوسائط الثقافية تأثيراً وفاعلية وأكثر قدرة على التوصيل لفكرة النصوص الموجهة إليهم مهما كانت طبيعة هذا الطفل، كون الأطفال ينجذبون بطبيعتهم إلى المسرح وبوصفه نوعاً من اللعب التخيلي الذي يجمع بين الضحك والمتعة الوجدانية فهو يعد نوعاً من أنواع التعلم ولكن مع فارق أنه مضاف إليه عنصر المتعة بما يناسب طبيعة الطفل، وفي ظل التصارع بين أولياء الأمور والأطفال على الوقت والدروس وضغط الأطفال نفسياً بشكل كبير جداً مما أصبح معه للمسرح ضرورة قصوى للتنفيس عن الطفل.

المسرح ودوره في الوعي الاجتماعي للطفل:

ومن ناحية أخرى يهدف المسرح إلى تنمية العديد من المهارات الاجتماعية وتقدير الذات، فهو يقدم للأطفال دروسًا في التعاون والعطاء وعمل الخير وكيفية مواجهة المواقف الإنسانية، كما أنه يعلم الطفل التعاون والعمل معًا كفريق وغرس قيمة العمل الجماعي ولا يكون هو الأوحده. ويوعي الطفل عن أهم الظواهر الاجتماعية الموجودة مثل العنف والتحرش والتنمر وتمكينهم من الدفاع عن أنفسهم بطريقة مبسطة، كما يعمل على بناء الشخصية وكسر حاجز الخجل ويجعله ينطلق أكثر بالحياة ويصبح عنده الكاريزما التي تجذب الأطفال إليه، ويعمل أيضًا على تنمية الفكر المنفتح على الحرية والخير والسلام، ومن خلال الواقع العملي نشاهد اختلافًا كبيرًا جدًا في شخصية الطفل قبل وبعد مشاركته على المسرح؛ حيث يؤثر على تطوير وبناء الشخصية، وعند عمل مسابقات يتحول ذلك إلى تنافس إيجابي يحاول الطفل فيه تحسين كل وسائل الإخراج والتعبير. وتوظيف المسرح في تشكيل وعي الطفل أساسي وليس الهدف منه هو تحويل الأطفال إلى ممثلين، ولكن الهدف هو تحويلهم إلى أشخاص فاعلين في المجتمع عندهم ثقة بأنفسهم وإبداع وتنمية خيال، ويحفظ هذا للطفل ذكريات جميلة تحفظ في الذاكرة لفترة طويلة من العمر. وفي ظل تنامي وزيادة شاشات ووسائل التكنولوجيا من ألعاب وأفلام عنف تتسبب في تنامي سلوك جامح لدى الأطفال: مما يجعلنا نرجح عودة المؤسسات للاهتمام بمسرح الطفل الذي قد يعيد التوازن لسلوك الأطفال أمام هذا الاجتياح للوسائل التكنولوجية والإلكترونية.

وبالتالي يهدف المسرح إلى التنمية المجتمعية من خلال عرض المشكلات الموجودة في المجتمع عن طريق عرضها على المسرح ومناقشتها وهذا يخرجها من تابوت الخوف.

أهم المعوقات أمام المسرح التعليمي:

هناك العديد من المعوقات التي تحول دون تحقيق المسرح لأهدافه، مثل عدم فهم ولي الأمر لأهمية هذا العمل فيظن أنه سوف يؤثر بالسلب على مستوى دراسة ابنه فيمنعه من المشاركة، وقد يرى أن المسرح هذا عمل هزلي لا يفيد، كما أن جداول الحصص التي تضغط على المعلمين تجعلهم لا يستطيعون ممارسة هذا النشاط، ولذلك كان لابد من تعزيز مكانة المسرح التعليمي وتوظيفه لتحقيق الأهداف التربوية، وغرس القيم الأصيلة وذلك من خلال نصوص تتلاءم مع المرحلة العمرية للأطفال، فمن يكتب مسرحًا للطفل يستطيع من خلال ما يقدمه من مضامين وأفكار أن يزود الأطفال بزيادة ثقافي تربوي وسلوكي لا ينضب، ولذلك كثيرًا ما يلجأ إليه التربويون لبحث مفاهيم أو قيم سلوكية أو أخلاقية لأن الطفل غالبًا ما يتقمص الشخصية التي يشاهدها. كما يجب ألا يتوقف المسرح والتعليم المسرحي على وجود مسارح متكاملة بل يمكن أن يمارسها الطفل في أي مكان وأي وقت، ففي البيت يمكن أن يتقمص الطفل شخصيات مختلفة وأن يرتجل حوارات قصيرة يحتاج الأمر فقط لبيئة مشجعة، وفي المدرسة أيضًا يمكن أن نضع مكانًا لخشبة صغيرة يؤدي فيها الأطفال أدوارًا مسرحية.

كما أنه لابد من تدريب المعلمين على صياغة سيناريوهات للمسرحيات واكتشاف وتنمية مهارات الطلاب

وتنميتهم وعمل ورش تدريبية للمعلمين وكثرة التدريب والممارسة وتبادل الخبرات، وأن تقوم المدارس بعمل مكتبة للمسرحيات للدروس المختلفة، كما أنه لابد من تقييم محتوى المسرحيات وتطبيق معايير التربية المسرحية، ولا بد من الاهتمام بتقديم بحوث ودراسات تركز على الواقع الميداني وأن تتحول هذه الدراسات إلى خطط عمل مستقبلية لاستكشاف كل ما هو جديد في المسرح، وتدريب المعلمين في ورش مسرحية وإنتاج الأطفال عروضًا بأنفسهم وإقامة ندوات لتوصيل أهمية المسرح ومحاولة تقديم الأفضل وتوفير الامكانيات المادية للمسرح، ولا بد من المساعدة في وصول المسرح إلى كل طفل في كل مكان.

كما أنه لابد من وضع آليات لتنمية دور المسرح في الطفولة المبكرة وذلك عن طريق وسائل الاعلام، ولا بد من وجود تقييم لمحتوى المسرح والمسرحيات حتى يظل تحت الرعاية التربوية





ولا يتحول إلى منافسة فنية بين المخرجين ويتم احترام المعايير التربوية التي تعد الأساس في المسار التربوي الذي يؤدي للعرض ومساعدة الأطفال على ابتكار النصوص بأنفسهم.

المسرح لم يعد وسيلة ترفيه أو متعة فقط إنما أداة تنوير

وفي النهاية نستطيع القول إن المسرح لم يعد وسيلة ترفية أو متعة في وقتنا الحالي بقدر ما هو أداة تنوير، ووسيط لنقل الفكر وبث الوعي والنهضة بالمجتمعات، كما أن المسرح يحتاج إلى تكاتف الجهود واعتبار المسرح ليس مناسبة بل هو بحث حقيقي في كل ما هو معرفي وتربوي، ويمكن القول إننا نطمح إلى مسرح بالطفل وليس مسرح للطفل، فلا بد من تفعيل دور الأطفال وتحفيزهم على كتابة النصوص المسرحية وإخراجها والإسهام بعرضها على خشبة المسرح

مشاركة الاطفال على المسرح ليس هدفها تحويلهم إلى ممثلين بل إلى أشخاص فاعلين لديهم ثقة وابداع وخيال

وختامًا يمكن القول إنه إذا لم يتعلم الطفل بالطريقة التي نعلمه بها ربما نحن بحاجة لأن نتعلم الطريقة التي يتعلم بها أطفالنا، وأن يكون المسرح جزءًا أساسيًا من يوم الطفل داخل مؤسساتنا التعليمية، كل ذلك يؤدي إلى زراعة بذور القوة في أطفالنا ويكون ذلك خيرًا لنا من أن نداوي رجالًا محطمين فاعلات التي نكسبها للأطفال في مرحلة الطفولة المبكرة هي التي سوف تحدد لنا نوع الحياة التي سوف يحيونها. وبالتالي فإن تعزيز وتقوية دور المسرح لدى الأطفال في مرحلة الطفولة المبكرة من خلال إعداد القصص والمسرحيات ودمجها في المناهج، ستمكن لا محالة من صناعة طفل على درجة عالية من الوعي يتماشى مع متطلبات المستقبل والألفية الجديدة.

